الإعراب
في عربية بتي يعرب

أ.د. أحمد مصطفى أبو الخير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١)

أ.د. أحمد مصطفى أبو الخير
الخبير الدولي في اللغة العربية

الإعراب في عربية بني يعرب
منهج تحليل ومدخل تعليم

قبل أن نفسر لقارئ العربية ونوضح تميزَ نظام الإعراب في لسان بني يعربَ نُتحِف القارئ باقتباسين مهمين، من العلامة العقاد، ثم الدكتور إبراهيم أنيس، رحمه الله، أو رحمهما الله:

١- **العقاد**: في كتاب اللغة الشاعرة [١] يقول الرجل:

يرى بعض مؤرخي اللغات أن الإعراب في العربية أثر من آثار استخدام الحركة vowel في التعبير عن المعنى، لقد تفردت لغة بني يعرب بهذه الخاصية الفنية.

وبرغم وجود أشكال من الإعراب في بعض اللغات الأوربية كاللاتينية، أو في بعض اللغات العروبية- التي تسمى بالسامية- كالعبرية والحبشية [٢]، أو في بعض اللهجات المهجورة كالمصرية القديمة على عهد الفراعنة؛ إلا أن الإعراب العربي وافٍ مقرر القواعد، يعم أقسام الكلام أسماءً وأفعالًا وحروفًا حيثما وقعت بمعانيها من الجمل والعبارات، ولا يزيد الإعراب في اللغات الأخرى غير العربية عن إلحاق

(١) ص ١٥ بتصرف.
(٢) لا ننسى أن كلتا اللغتين خرجتا من عباءة العربية.

طائفة من الأسماء والأفعال بعلامات الجمع والإفراد، أو علامات التذكير التأنيث، وما زاد على ذلك فهو مقتصر على مواضعَ محدودةٍ، ولا يصاحب كل كلمة ولا كل عبارة، كما يصاحب الكلمات العربية حيثما وقعت بين عباراتها.

٢- د. إبراهيم أنيس [١]: تحت عنوان: (قصة الإعراب) جاء ما يلي:

بقايا من الإعراب نجدها في العبرية، ثم في اليونانية القديمة واللاتينية، على أن نظام الحالات الإعرابية في اللغات الهندية - الأوربية نظام معقد، ذو اتجاه خاص لا يصح أن يقارن به نظامنا العربي، هذا النظام الهندي الأوربي تغلغل في كل اللغات القديمة لهذه الفصيلة كالسنسكريتية - الهندية القديمة - واليونانية، واللاتينية، وبقيت آثاره ورواسبه في بعض اللغات الأوربية الحديثة، مثل: الألمانية، والفنلندية، واللتوانية، وغيرها [٢].

ويضيف الدكتور إبراهيم أنيس: ولعل القرآن الكريم والتراث العربي والشعر من أسباب بقاء نظام الإعراب العربي - كما هو - ولعل بقايا الإعراب في اللغات الأخرى مقتبسة من العربية، فلا تكاد تخلو لغة أوربية من أثر للنظام العربي مهما كان ذياك الأثر ضئيلًا أو دقيقًا يحتاج إلى الغوص عنه.

---

(١) من أسرار اللغة، القاهرة ١٩٥١، ص١٣٥.
(٢) عندما كنت في أكرانيا ٩٨ - ١٩٩٩م، ذكروا لي أن الروسية فيها شيء من الحالات الإعرابية.

ولعل أهم فرق بين رموز الأسماء اللاتينية وبين حركاتنا الإعرابية أن الرموز اللاتينية لا تسقط مطلقًا من نهاية الأسماء حين الوقف عليها، كما يحدث للحركة الإعرابية على لسان بني يعرب.

وعليه فإنا نخرج من هذين الاقتباسين بما يلي:

١- الإعراب في العربية نظام كامل متكامل في مرحلة من النضج والكمال والاكتمال.

٢- في اللغات الأخرى شيء من الإعراب، أو قل: بقية، لعلها مقتبسة من العربية، أو جائية من العربية، ونحن في دراسة اللغة العربية نؤكد - بما لي من معرفة بالعبرية - أن ما فيها من بقايا إعرابٍ لا يُسمِن ولا يُغني من جوع، عله قد جاء من العربية؛ إذ إن هذي اللغة نفسَها قد خرجت من عباءة العربية.

ليس العبرية فقط التي جاءت من لغة بني يعرب؛ بل الحبشية - القديمة والحديثة - كلٌّ جاء من لهجة عربية يمانية، وهذا ما لا شيةَ فيه ولا ريبَ بين الباحثين.

أما اللغات الأخرى الهندية الأوربية - سيما اللاتينية التي انقرضت - فهي الأخرى ليس فيها نظام إعرابي كامل متكامل، إنما هو بقايا نظام قديم، لعله اقتُبِس من العربية، وإن كان هذا يحتاج إلى بحوث حديثة وصفية لهذي اللغات، ثم تقابلية تقارن بين الإعراب عندنا وبين بقاياه وظلاله في اللغيات الأخر.

وإن كنت أتصور أنها بقايا كتلك التي نجدها في العاميات المصرية، فإنه طبقًا لنظرية الدكتور مهدي[١] علوش التي ترى أن كل فصيح على ألسنة مثقفي العربية فيه شيء من العامي والعكس صحيح، فكل عامي فيه شيء من الفصيح أو بقايا فصيح، ومن هذه البقايا الفصيحة شيء من الإعراب، كما نقول مثلًا:

- شكرا، خيرًا.
- السلام عليكم.
- بسم الله الرحمن الرحيم.

هذي بقايا من الإعراب، هي شيء من الفصيح محشور في العامية المصرية مثلًا.

٣- هذي البقايا الإعرابية في اللغات الأخرى لا تغيب في الوقف، ما يدل على أنها بقايا نظام، وليست نظامًا متكاملًا، أُخذ به؛ حيث إن النظام الإعرابي العربي يحجب الحركةَ الإعرابية في حالات؛ منها الوقف؛ لأسباب ومبررات منطقية وقوية سوف نفصلها ونبسطها أمام قارئ العربية في مكانها.

والآن سوف نترك هذي البقايا التي بقيت لنتحدث عن نظام الإعراب في لسان بني يعرب وأسس وأركان هذا النظام، وهي كما يلي:

أولًا: إن هذا النظام فريد بين اللغات، لا نظير له، ولا شبيه، هو نظام متفرد متميز.

---

(١) اللغة العربية في الولايات المتحدة، ترجمه د. أحمد أبو الخير ـ د. أحمد فريد، القاهرة ٢٠٠٥، ص ١٢.

ثانيًا: الإعراب في العربية له نظام محدد، ليس فوضى، ولا سبهللة، العبقري (ابن جني) في خصائصه [١] يلخص المسألة فيما يلي.

تحت عنوان: (رفع الفاعل ونصب المفعول) يقول أبو الفتح: إنما فعل ذلك للفرق بينهما، فلم اختِير الرفعُ للفاعل، والنصب للمفعول، ولم يحدث العكس؟ لأن الفعل لا يكون له أكثرُ من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرُفِع الفاعلُ لقلته، ونُصِب المفعولُ لكثرته؛ ليقلَّ في كلامهم ما يستثقلون، ويكثر في كلامهم ما يستخفون.

وفي مكان آخر يقول ابن جني [٢]: جميع ما جاء من الكلم على حرف واحد عامتها على الفتح إلا الأقل، وذلك نحو: واو العطف، والفاء، ولام الابتداء، وكاف التشبيه، وغير ذلك، وقليل مكسور، كباء الجر، ولامه، ولام الأمر، ولا نجد في الحروف المنفردة ذوات المعاني ما جاء مضمومًا، ولا يُعتَد بهمزة الوصل المضمومة، نحو: اقتل، استقصى ...؛ لأنها تسقط في الدرج. اهـ.

ولأن همزة الوصل جزء من الكلمة، ليست جزءًا مستقلًّا، لا حرفًا ولا غيره.

وهكذا اختارت العربية الفتحة أسهل الحركات وأكثرها مرونة للمفعولات وللفضلة: (المفعول به ـ المفعول المطلق ـ المفعول لأجله ـ المفعول فيه أو الظرف

---

(١) ٤٩/١.
(٢) الخصائص ٧١/١.

ـ المفعول معه) ثم: (الحال ـ التمييز ـ اسم إن وأخواتها ـ اسم لا النافية للجنس ـ المستثنى ـ خبر كان وكاد وأخواتهما ـ المنادى ـ المنصوب على الاختصاص ـ الإغراء والتحذير) على تفصيل في بعض المنصوبات نطالعه في مصادر النحو ومظانِّه.

كثره كاثرة كما نرى هي المنصوبات، المرفوعات أقل من هذا بكثير، ربما تصل إلى نصف عددها، وهي: (الفاعل ـ نائب الفاعل ـ المبتدأ والخبر ـ اسم كان وأخواتها ـ اسم أفعال المقاربة ـ اسم ما يعمل عمل ليس ـ خبر إن وأخواتها ـ خبر لا النافية للجنس).

واختارت العربية الكسر للجر بأسبابه المختلفة ـ كما سيأتي تفصيله ـ كما اختارت الفتحة لنصب الفعل الوحيد الذي يُعرَب وبشروط، المضارع يُعرَب من بين أخويه الأمر والماضي، شرط ألا تتصلَ به نون النسوة ونونا التوكيد، واختارت الضمة للرفع، كما اختارت السكون للجزم حتى يتميزَ الفعل المعرب عن الاسم المعرب.

المضارع الناقص يُرفع بالضمة المقدرة، ويُجزم بحذف (حرف العلة)، أو بمعنى أدق تقليص الحركة الطويلة إلى قصيرتها (يدعُو ← لم يدعُ ـ يرمِي ← لم يرمِ ـ يُشتهَى ← لم يشتهَ) النصب بالفتحة الظاهرة على الياء والواو، والفتحة المقدرة على ألف (الفتحة الطويلة).

أما المضارع المتصل بالضمائر (واو الجماعة ـ ألف الاثنين ـ يا المخاطبة) فقد رُفِع بثبوت النون، ونُصِب وجزم بحذفها.

المثنى: اختارت العربية الرفع بالفتحة الطويلة (ألف المد) والياء للنصب والجر، وفي جمع المذكر السالم غيرت في الرفع، فاختارت لهذا الجمع الواو للرفع، حتى ينمازعن المثنى، وفي النصب والجر جعلت الياء اللينة المفتوح ما قبلها للمثنى، في حين جعلت ياء الجمع المذكر ياء مدية (كسرة طويلة) ليست ياء لينة ساكنة، مفتوح ما قبلها.

وفي الأسماء الخمسة استخدمت الحركات الطوال، الضمة الطويلة للرفع، الفتحة الطويلة للنصب، الكسرة الطويلة للجر (أبوها / أباها / أبيها).

الأفعال المبنية كانت الماضي (وأصل البناء فيه على الفتحة) والأمر وأصل البناء فيه على السكون ـ على تفصيل مقرر في كتب النحو ـ ثم الأفعال الثلاثة بما فيها المضارع إذا اتصلت بنوني التوكيد بني الفعل أيًّا كان نوعه على الفتح، ومع نون النسوة ـ إضافة إلى تاء الفاعل ونا الفاعلين ـ البناء على السكون، مع وجوب الإشارة إلى أن هذين الأخيرين لا يلحقان المضارع ولا الأمر، إنما يلي النوعين من الأفعال من تيك الضمائر الثلاثة واحد فقط، هو نون النسوة، ومع نون النسوة وأخويه ـ تاء الفاعل ونا الفاعلين ـ الأفعال كلها مبنية على السكون.

بقي لدينا الأسماء الممنوعة من الصرف، ترفع بالضمة وتنصب وتجر بالفتحة، إلا إذا كانت معرفة بأل أو الإضافة فإنها تجر بالكسرة، هنا أيضًا ميل إلى
الفتحة، في النصب، وفي الجر أيضًا.

بقي المجموع بالألف والتاء، يُنصب ويُجر بالكسرة، فلماذا عدلت العربية هنا عن الفتحة إلى الكسرة ؟ بسبب الفتحة الطويلة ـ ألف المد ـ قبلها؛ إذ أرادت العربية أن تنوع في الحركات، فتأتي بكسرة قصيرة بعد الفتحة الطويلة بدل فتحة قصيرة قبلها فتحة طويلة.

وهكذا نجد العربية في إعراب الأسماء والأفعال وبنائها، وكذا في بناء الحروف تميل إلى الفتح ثم الكسر ثم الضم، مع الإقرار بوجود السكون في البناء (منْ ـ هل) وفي الأمر (اكتب ـ اسكت) وفي الإعراب حال جزم المضارع صحيح الآخر من غير الأفعال الخمسة، علمًا أن السكون ليس حركةً البتة، إنما هو عكس الحركة، استُخدِم في البناء والإعراب أحيانًا؛ لكنه في زاوية ضيقة؛ إذ الأصل في الإعراب الحركة ـ قصيرة أو طويلة ـ وكذا البناء، بقي السكون في زاوية ضيقة من الإعراب والبناء.

مما يشار إليه أيضًا أنه إضافة إلى المنصوبات والمرفوعات والمجرورات التي ذكرت فإنما يضاف إليها توابع ما ذكر؛ أي: (الصفة ـ البدل ـ التوكيد ـ العطف) كما نعرف تفصيله، وتفصيصه.

وعليه وبناء على ما سبق نعيد ما قلناه من أن نظام الإعراب في عربية بني يعرب متميز متفرد على غيره في لغات العالم؛ حيث الإعراب فيها يبدو بقايا نظام يمكن أن يكون مقبوسًا من العربية، وهذا ما أؤكده في حق العبرية والحبشية اللتين كانتا في الأصل لهجة عربية، إنه بناء على كل ما سلف نستطيع القول بأن خصائص نظام الإعراب في عربيتنا:

أولًا: مالت العربية إعرابًا وبناء إلى الفتح، فهو أخف الحركات العربية، وأكثرها مرونة، فالفتحة حركة متسعة وسطى، الشفتان محايدتان في نطقها، شديدة المرونة في نطقها؛ إذ هي أمامية عندما تأتي بعد صامت مرقق (كتبَ) خلفية إذا جاءت بعد صامت مطبق (ص ـ ض ـ ط ـ ظ) مثل الفتحتين بعد الضاد والطاء في مثل (ضبط) وهي أيضًا وسطى إذا جاءت بعد صوت مفخم (ق ـ غ ـ خ) الفتحات الطويلة في (قابل ـ غادر ـ خادع).

وهكذا تجد الفتحة العربية شديدة المرونة (السهولة) وفي عملية الاستخدام مطيعة ومطواعة، تليها الكسرة التي يتحرك عند نطقها الجزء الأمامي من اللسان، الكسرة حركة أمامية ضيقة تنفرج في نطقها الشفتان، في حين الضمة حركة خلفية ـ ضيقة أيضًا ـ لكن تنضم في نطقها الشفتان، ولذا سُميت بالضمة نسبة إلى ضم الشفتين.

نحن نتصور أن حركة اللسان من الأمام ـ خاصة في طرفه ووسطه ـ أسهل من حركة اللسان من الخلف والقاعدة، لاحظ:

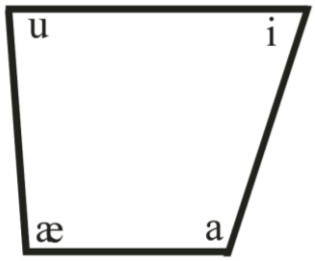

i = الكسرة، u = الضمة.

a = الفتحة المرققة. = الفتحة المفخمة. æ = الفتحة المطبقة.

يلاحظ أن الفتحة العربية ـ طويلة أو قصيرة ـ مرنة جدًّا، فهي مع الترقيق أمامية، وبعد الأصوات المطبقة خلفية، وبعد الصوامت المفخمة وسطى، أما الكسرة والضمة ـ وكلتاهما حركة ضيقة ـ فتمتلكان ذات الخاصية من المرونة والسهولة، ولذا مالت العربية إليها إعرابًا وبناء، تلتها الكسرة، وأخيرًا الضمة الأصعب نطقًا بسبب ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان، على عكس ارتفاع الجزء الأمامي؛ إذ هو أسهل من حركة الجزء الخلفي، ولكن العربية ـ برغم هذا ـ لم تنسَ السكون، فخصته بجزم المضارع وبناء الأمر وبعض الأسماء والحروف، وهكذا.

إذن ففي نظام الإعراب العربي:

- **الرفع للعمدة.**
- **النصب للفضلة.**
- **الجر للمضاف إليه وبعد الحرف ... إلخ.**

الفتحة هي الأسهل فانتشرت وذاعت في الإعراب والبناء - في الأسماء والأفعال والحروف - تليها الكسرة ثم الضمة؛ إذ هي الأكثر صعوبة، ولذا أعطتها للأكثر أهمية، وهو العمدة (الفاعل، نائب الفاعل ...) إلخ.

وعندي تحفة طريقة أهديها لقارئ الدستور، ما هي يرحمك الله؟

انظر - يا عربيًّا من بني يعرب - إلى جمع (سرير) إنه أسرة وسُرُر[١] بضمتين متتاليتين، للسين والراء، ولكن هذا الجمع ورد بفتح الراء بدل الضم ؟ استثقالًا لاجتماع الضمتين مع التضعيف، وانتهاء الكلمة براءين، هل هذا المثال فقط ؟ كلا، ما أشبهه من الجمع مثل (ذليل) ذلل بضمتين للذال واللام، هذه اللام التي تفتح تخفيفًا، أو قل فرارًا من تتابع ضمتين وتواليهما مع تماثل الصامتين الأخيرين (الرائين واللامين) ألم أقل لك: إن العربية تميل إلى الفتحة، وتفر من الضمة، فما بالك بضمتين متواليتين!

ثانيًا: وفي نظام الإعراب في عربية بنى يعرب مزج بين الحرية والالتزام، العربية لم تترك الأمور فوضى سبهللة، ولم تقيد المتكلم والكاتب، فتضرب على الأفواه والأقلام قيودًا ثقالًا، لا تحتمل؛ بل مزجت الأمرين، الحرية والالتزام، كيف ؟

---

(١) الصحاح مادة (س ر ر).

الإعراب في العربية مسألة هينة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، كما قلنا:

- الحروف كلها مبنية، قاعدة كلية، بلا محل من الإعراب.
- الأفعال كلها مبنية عدا المضارع إذا لم تتصل به النسوة، ولا نون التوكيد.
- الأصل في الأسماء الإعراب، وما بُني منها له محل من الإعراب، فلماذا بُنِيت تيك الأسماء، وأُعرِبت الأخرى، أو متى يُبنى الاسم ؟ يُبنى الاسم إذا أشبه الحرف، في أي شيء ؟ في أربعة أشياءَ، هي:

١- شبهه في الوضع كالاسم الذي يتكون صامت (حرف واحد) وحركة قصيرة، مثل تاء الفاعل، أو صامت وحركة طويلة + (حرفين) مثل (أكرمنا) نا الدالة على الفاعلين؛ بل الاسم قد يتكون من عنصر واحد، صامتًا أو حركة مثل الهاء والكاف عند الوقف (كتابهْ ـ كتابكْ) فالهاء والكاف كلاهما اسم مبني في محل جر للإضافة، ومن الحركة ياء المتكلم (إني ـ كتابي) كسرة طويلة أو ياء مد، يمكن أن تنطق ياء مفتوحة فتتكون من عنصرين (إنىَ ـ كتابيَ) بفتح الياء في الكلمتين.

٢- شبه الحرف في المعنى مثل (متى ـ كيف ـ أين) لأنها أشبهت حرف الاستفهام، الهمزة.

٣- شبه الحرف في الافتقار اللازم إلى غيره، مثل اسم الموصول المفتقر إلى الصلة.

٤ـ النيابة عن الفعل وعدم التأثر بالعامل في أسماء الأفعال (صه ـ مه ـ أدراك).

ومن ثم نجد البناء للضمائر وأسماء الشرط [١] والاستفهام وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وأسماء الأفعال، وفي الجهة المقابلة يُعرب الاسم الذي لا يشبه الحرف بأي وجه من الوجوه الأربعة.

إضافة إلى صيغ بعينها مثل (أحد عشر ـ بين بين ـ بَيت بيت) لشدة الارتباط بين الكلمتين، أو العلم الأعجمي المختوم، وبه (سيبويه ـ نفطويه) أو سب الأنثى (يا لكاع ـ يا خباث) بالبناء على الكسر [٢].

أهذا فقط ؟ كلا، إن الحركة الإعرابية تحجب وتسقط في حالات كثيرة، منها:

١ـ في الوقف، لا إعراب ولا تنوين، هما حالتان من حالات الوصل والوقف، فلم يحجب الإعراب والبناء في الوقف ؟ إيذانًا بانتهاء المتكلم من كلامه، وعندها حق للسامع أن يجيب وأن يتكلم، إنه تمييز بالسلب والحذف، وليس بإضافة عنصر زائد على الجملة، تمامًا كما ميزت العربية المضاف المفرد بحذف التنوين، والمثنى والجمع المذكر بحذف النون.

ويرى أستاذنا المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب أن فصحى بني يعرب قد جمعت بين نظامين للوقف كانا في اللهجات القديمة، هما:

---

(١) شرح ابن عقيل، القاهرة ٢٠٠٥، ص١٧ ـ ١٩.
(٢) راجع كتابنا ـ الصرف العربي والنحو، ص١٠١ وما قبلها.

- الوقف بالسكون على الكل (جاء محمدْ ـ رأيت محمدْ ـ مررت بمحمدْ) كل بالسكون.
- الوقف على الحركة الطويلة في كلٍّ (جاء محمدو ـ رأيت محمدا ـ مررت بمحمدي) بواو مد في الرفع، وألف مد في النصب، وياء مد في الجر.

اختارت العربية السكون للمرفوع والمجرور، واختارت الفتحة الطويلة للمنصوب، مرة أخرى مال الإعراب في عربية بني يعرب إلى الفتحة، وإن كانت طويلة، وتخلصت من الضمة والكسرة الطويلتين، في النهاية مالت العربية إلى الفتح، الحركة الأسهل الأشد مرونة مقارنة بأختيها الضمة والكسرة.

إن الإعراب ـ وكذا التنوين ـ يحجبان في الوقف؛ إذ هما مختصان بالوصل دون الوقف.

٢ـ حروف المعجم حين تنطق مفردة أيضًا يحجب عنها الإعراب ـ وكذا التنوين نقول: (ألفْ ـ باءْ ـ تاءْ ـ جيمْ ـ حاءْ ...) كل بسكون الآخر، وهكذا جاءت في القرآن الكريم كله ساكنة الآخر غير منونة.

وفي حروف المعجم نكتة طريفة، ففي قراءة أبي جعفر (ت ١٣٠هـ) العشرية السكت على نهاية هذه الحروف، إنها لا تنطق (ألف لامَيم) بل: (ألفْ ← سكت ـ لام ← سكت ـ ميمْ ← سكت) هذا السكت صورة من المفصل، أو الفصل بين

الحروف، ما يؤكد الشخصية المستقلة لكل حرف، هذا يذكر بالحديث: (لا أقول ألف لام ميم حرف؛ بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف).

٣- وفي العد حين نعد: واحدْ - اثنانْ - ثلاثة - أربعة ... الخ، كما في حروف المعجم حين تنطق مفردة، لا إعراب ولا تنوين.

٤- هل هذا فقط هي صور حجب الحركة الإعرابية ؟ كلا، مثل ماذا يا صاح ؟ مثل حركة الإتباع التي تحجب الحركة الإعرابية وتحتنكها، يعبر عن هذا العبقري ابن جني تعبيرًا أخاذًا ساحرًا؛ إذ يقول:

(هجمت حركة الإتباع على حركة الإعراب فابتزتها موضعها)، هل عندك شواهد غير (هذا جحر ضب خرب) ؟ عندي ومن القرآن الكريم.

في قوله تعالى: {... لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا} وقعت في خمس سور من القرآن الكريم هي: (البقرة، والأعراف، والإسراء، والكهف، وطه)، رُوِي عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠هـ)- وهو من القراء العشرة- أنه قرأها في جميع مواضعها الخمسة بضم التاء في كلمتي (للملائكة) حالة الوصل.

معنى هذا أن أبا جعفر إذا لم يصل- أي: إذا وقف على {للملائكة}- لم يضمَّ التاء، فعند الوقف لا إعراب - ولا تنوين، فلماذا ضمها في الوصل وحقها الكسر، كما قرأها غيره ؟ (إتباعًا لضم الجيم) كما يقول البنا الدمياطي [١].

(١) إتحاف فضلاء البشر، ص١٣٤.

جاءت الضمة في كلمتي (للملائكة) إذن تأثرًا بضمة الجيم في {اسجدوا}، ثم الضمة الطويلة بعد الدال، هذا هو الإتباع، التأثر بحركات أخرى غير حركة الإعراب أو كما قال ابن جني: (هجمت حركة الإتباع على حركة الإعراب فابتزتها موضعها) شاهد من القرآن الكريم على حركة الإتباع وتأثيرها في حركة الإعراب.

٥- ولا ننسى أيضًا الإدغام الكبير؛ حيث تحذف حركة الإعراب قبل الإدغام، ولذا سُمي بالإدغام الكبير، كما جاء في القرآن الكريم:

- {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ [١]} بإسكان الباء في آخر كلمة {الغيب} لتدغم في الباء الأولى من {بضنين}، لقد سقطت كسرة الجر من الكلمة الأولى.
- {نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا} سقطت فتحة بناء الكاف، فأُدغِمت [٢] الكاف في الكاف.

هذان شاهدان من حجب الحركة الإعرابية في الإدغام الكبير، والذي اشتهر به أبو عمر بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ)، وهو من القراء السبعة.

٦- وفي جعبتي للقارئ شيء، قد يكون مفاجئًا لبعض القراء، ما هو يرحمك الله ؟ إنه الاستغناء ـ تمامًا تمامًا ـ عن الحركة الإعرابية، هذا اقتباس من كتاب (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع العشر) للبنا الدمياطي [٣].

---

(١) التكاثر: ٢٤.
(٢) السابق، ص٢٤.
(٣) ص: ١٣٦.

واختلف في همز بارئكم معًا، وراء يأمركم المتصل بضمير جمع المخاطب، وتأمرهم ويأمرهم ؟ مخاطب أو غائب، متصل بضمير، وينصركم مطلقًا، ويشعركم حيث وقع ذلك مرفوعًا، فأبو عمرو ـ من أكثر الطرق ـ بإسكان الهمزة والراء وهي لغة بني أسد وبعض نجد، طلبًا للتخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال، من نوع واحد، كيأمركم، أو نوعين كبارئكم، وإذا جاز إسكان حرف الإعراب في الإدغام ـ أي: الكبير ـ للتخفيف فإسكانه هنا أولى. انتهى كلام الدمياطي.

أ ـ في قوله تعالى في سورة البقرة: {فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ} [1] ، كلمة {بارئكم} التي تكررت مرتين في الآية هي مجرورة في موضعيها؛ لكن كسرة الجر حُذِفت أو سقطت، هذا نوع من التخفيف، أو التخفف من الحركة.

ب ـ الأفعال (يأمر ـ ينصر ـ يشعر) في بعض السياقات تسقط ضمة الرفع فقط؛ لكن المؤلف نفسَه أورد مثالًا واحدًا فقط ينتهي بالفتحة ـ أي فتحة النصب ـ هي (تأمرنا) منصوبة؛ أي: أن الحركة التي حُذِفت هي الضمة أولا، ثم الكسرة، وهذا ما يتسق مع ما قلنا سلفًا من ميل العربية نحو الفتح، وتحاشيها للضم ثم الكسر.

جـ ـ إن المؤلف قدم مبررًا معقولًا جدًّا، هو اجتماع ثلاث حركات غير مرغوب فيها، هما الضمة والكسرة، لكن الفتحة نجت من الحذف والحجب لخفتها.

---

(١) البقرة: ٥٤.

د- نحن أمام نوع من التخفف من الحركات المرغوب عنها في إعراب عربية بني يعرب، الحركة الإعرابية، إذن ليست مقدسة، ولا هي راعبة مرعبة بحال من الأحوال.

٧- وفي عربية بني يعرب منطق دقيق، وإمكانيات واسعة مع تجنب اللبس وسوء الفهم أو شيء من الوهم، كيف بالله عليك ؟ يصح لك أن تقدم المفعول مثلًا على الفاعل، إن كان هناك إعراب ظاهر يفرق الفاعل - وإن أُخِّر - عن المفعول - ولو قُدِّم - يصح القول:

- هزم المسلمون المشركين.
- هزم المشركين المسلمون.

ويصح أيضًا:

- قابل محمد عليًّا.
- قابل عليًّا محمد.

علامتا الرفع والنصب فرقتا الفاعل عن المفعول، ولو تأخر الأول وتقدم الأخير، فإن غابت علامات الإعراب الظاهرة، فكانت مقدرةً في الفاعل والمفعول فلا يصح تقديم المتأخر، وتأخير المتقدم، مثل:

- ضرب موسى عيسى.

لا بد أن يكون الأول الفاعل، والمؤخر المفعول، قطعًا ولزامًا، قولًا واحدًا، لا ثاني له، فإن قامت قرينة غير إعرابية جاز التقديم رغم غياب العلامات الإعرابية الفارقة بين الفاعل ومفعوله، مثل:

- أكل عيسى الكمثرى.
- أكل الكمثرى عيسى.

فالفاعل في الجملتين (عيسى) والمفعول (الكمثرى) برغم غياب الإعراب الظاهر، حيث جاء المنطق الباده ليدل دلالة قاطعة على كل من المفعول والفاعل، بلا أدنى ريب، ولا شك.

وفي العربية مثال طريف غاية الطرافة، إذا بلغ المنطق والفهم قمته سحبت العربية الإعراب، وتآكل حتى انتهى، ما هو هذا المثال يرحمك الله ؟ إنه أمثلة طريفة، غاية الطرافة، منها:

- خرق الثوبُ المسمارَ.
- كسر الزجاجُ الحجرَ.

بضم الباء في كلمة (الثوبُ) وفتح الراء في (المسمارَ)، وكذا في الزجاج والحجر، فهل يمكن أن يخرق الثوب المسمار ويكسر الزجاج الحجر ؟ كلا وألف كلا إن عربية بني يعرب تقول لك: أعمل عقلك ـ هنا ـ وفكر، هل يمكن للثوب أن يخرق المسمار ؟ كلا؛ بل المسمار هو الذي يخرق الثوب.

تمامًا كما نقول (دهس الطفلُ الشاحنةَ) المنطق والبداهة والفراهة و(المفهومية) تجبر على أن اليقين اليقين أن الشاحنة هي التي تدهس الطفل، وليس العكس، برغم أن ظاهر الإعراب يمكن أن يشير إلى أن الطفل هو الذي دهس الشاحنة.

المنطق العام هنا والفهم غير السقيم قد حجب الحركة الإعرابية، وفهم المقصود ونأى عن التصور غير الصحيح عندما اتكأ على الفهم والعقل ولم تخدعه، ولا يمكن أن تخدعه حتى حركات الإعراب الظاهرة، أو قل: ولو كانت ظاهرة ظاهرة بادية لكل ذي عينين.

٨- الإعراب ليس قيدًا محكمًا على فم المتكلم وقلم الكاتب؛ بل هو يشبه علامات للساري على الطريق، أو في واضحة النهار، علامات هادية ومضيئة وموجهة في طريق الناس، لا عقبات توضع في طريقهم، ولذا فإن المتكلم ـ وكذا الكاتب ـ في كثير من الأحيان هو سيد قراره، أو هو سيد القرار، يختار ما يختار بحرية واختيار، وهذه أمثلة نقدمها إلى قارئ دستور اللغة العربية.

أ ـ يجوز قطع النعت عن المنعوت، فيرفع هذا المنعوت على إضمار مبتدأ، أو ينصب على إضمار فعل، تقول:

- قصدت إلى محمد، الكريمُ ـ بالضم ـ أي هو الكريمُ.
- قصدت إلى محمد، الكريمَ ـ بالفتح ـ أي: أقصد الكريمَ.

- قصدت إلى محمد الكريمِ، بكسر الميم ـ فكلمة (الكريم) صفة مجرورة [١] (نعت) لمحمد.

هذه اختيارات أمام المتكلم، والقارئ، ما بين الرفع والنصب، أو الجر.

ب- في العطف يمكن تكرار حرف العطف، ويمكن عدم تكراره بذكره مرةً واحدةً، مثل:

- {وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ} [٢] في قراءة من جر (أرجلكم) أي: امسحوا برؤسكم وبأرجلكم.
- {وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [٣].

فيسطيع القارئ والكاتب أن يقولا:

- آمنت بمحمد ودينه، أو:
- آمنت بمحمد وبدينه.

المتكلم هنا سيد قراره، الكاتب هنا سيد اختياره.

جـ ـ الاسم الواقع بعد لا سيما يصح أن يرفع أو ينصب أو يجر، إلا إذا كان معرفة، فإنه يرفع ويجر فقط، لأنه يُنصَب على أنه تمييز، والتمييز لا يكون إلا نكرةً، وعليه يمكن أن يقال:

---

(١) راجع : الكامل لأحمد صفوت ٢/١٢٠.
(٢) المائدة: ٦.
(٣) البقرة: ٢١٧.

- أحب الناس، لا سيما الكريمُ ـ بالرفع ـ أو الكريم، بالجر.
- أكره المتكبرين، لا سيما جاهلًا، ويصح (جاهل) بالرفع، أو (جاهل) بالجر.

د- وإذا انقضت جملتان [١]، وجئت بجملة ثالثة، بدأت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو، فلك في هذا الفعل الجزم والرفع والنصب، منتهى الحرية، وهذي بعض أمثلة.

- {... فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ...} [٢]، لك في الفعل (يغفر) الرفع، وقد قرأ به عاصم، وقرأ غيره بالجزم، وقرأ ابن عباس بالنصب.
- {مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [٣]، قرئ الفعل (ويذرهم) بالرفع والنصب والجزم.

وأضيف أيضًا: إذا توسط المضارع بالفاء أو الواو بين الجملتين، فالوجه الجزم، ويجوز النصب:

ومَن يقترب منا ويخضع، نؤوه ولا يخشى ظلمًا ما أقام ولا هضما

هـ ـ في التمييز من حق المتكلم ـ أو الكاتب ـ أن يقول:

- اشتريت قنطارًا قطنًا

أو قنطارًا من القطن

أو قنطارَ قطنٍ

---

(١) أوضح المسالك ٤/٢١٣.
(٢) البقرة: ٢٧٤.
(٣) الأعراف: ١٨٦.

- بعت فدانًا من الأرض

أو بعت فدانَ أرضٍ

أو بعت فدانًا أرضًا

كل هذي إمكانيات تتيحها العربية، ولا يقف نظام الإعراب في العربية حجر عثرة في وجه اختيار المتكلم أو الكاتب.

و- وفي الترخيم - وما أدراك ما الترخيم - من حقك أن تقول:

- يا مالك ← يا مالِ، بكسر اللام.
- يا مالك ← يا مالُ، بضم اللام.

في الحالة الأولى: (يا مالِ) بكسر اللام هي لغة من ينتظر، أو من ينوي ويشير إلى أن المنادي له تكملة، فهذه الحركة الأخيرة - أي الكسرة - هي كسرة الكلمة، ليست كسرة إعراب، ولا بناء.

فإن كانت حركة بناء أو إعراب - أي: (يا مالُ) مبني على الضمة في محل نصب، فهذي لغة من لا ينتظر؛ أي: يعتبر المنادي كأنه على هذا الحال من البداية، تستطيع أيها العربي إذن أن تقول في المرخم:

- يا جعفُ / يا جعفَ (جعفر).
- يا أحمُ / يا أحمَ (أحمد).
- يا حارُ / يا حارِ (حارث).

هذان اختياران جائزان أمام المتكلم والكاتب، يختاران منهما ما يحبان، وله يشتهيان.

٩- ويا قارئ دستور العربية قد تجد من عامة القوم من يتندر معك، أو يمازحك ويعابثك - بالثاء لا بالسين - بهذين المثالين:

- أكلت السمكة حتى رأسُها، أو رأسَها، أو رأسِها، بالرفع والنصب والجر لكلمة (رأسها).
- لا تأكل السمك وتشرب اللبن، يأتي الفعل (تشرب) مرفوعًا ومنصوبًا ومجزومًا، كيف ؟ أنا أقول لك:

- يرفع الفعل (تشرب) على إضمار مبتدأ، تقدير الكلام: (لا تأكل السمك وأنت تشرب اللبن) فالواو استئنافية، ليست عاطفة.
- الجزم على التشريك بين الفعلين، أي: النهي عن الشيئين، أكل السمك، وشرب اللبن كليهما.
- النصب على معنى الجمع، حظر الجمع بين أكل السمك وشرب اللبن.

نأتي إلى المثال الثاني: (أكلت السمكة حتى رأسها) يصح في كلمة (رأسها) الرفع والنصب والجر، على النحو الآتي:

- (أكلت السمكة حتى رأسُها) بالرفع، على اعتبار أن (حتى) حرف ابتداء؛ أي: بعدها تبدأ الجملة وتستأنف (رأسها) مبتدأ مرفوع، والخبر تقديره (أكلت) أي: حتى رأسها أكلت، فلم يُبقِ على شيء منها حتى الرأس.

- (أكلت السمكة حتى رأسَها) بالنصب، على تقدير فعل محذوف، أي (وأكلت رأسَها أيضًا).
- (أكلت السمكة حتى رأسِها) بجر رأسها. فكلمة (حتى) هنا بمعنى (إلى)؛ أي: أكلت السمكة إلى رأسها، أي إلى أن انتهيت إلى الرأس.

وهكذا ترى ـ أيها القارئ الكريم ـ أن الإعراب ليس أضحوكة يتندر بها الجهلاء والبدهاء ـ البادهون السذج ـ من الناس؛ بل على أسس وقواعد، هو يعتمد ويتكئ.

وهذا مثالان مما يتندر بهما العامة، يمكن أن يسألك أحدهم، ولتعرف أنه في نظام إعراب عربية بني يعرب نظام محكم، إذا اختلف فسبب من المعنى ـ هنا ـ وقصد المتكلم، وإن كان في كثير الأحيان ـ كما مثلنا سابقًا ـ يعطي النظام الإعرابي للمتكلم الحرية كاملة في اختيار ما يرى من إعراب.

وبعد هذه الاستطرادة الخفيفة فهل فرغت يا صاحب نظرية سيد قراره من ضرب الأمثلة على حرية القرار واتساع الاختيار ؟ كلا، عندي بضعة أمثلة أبثها لقارئ الدستور، منها:

أ ـ الظرف المبهم: ما شأنه وما قصته يا طويل العمر ؟ الظرف المبهم إذا أضيف إلى مبني جاز أن يكتسب منه البناء، كما تكتسب النكرة التعريف من إضافتها

إلى معرفة، مثال المبهم المضاف إلى المبني قوله تعالى: {لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} [١] يقرأ على وجهين، الأول: رفع (بين) على أنه ـ لأنه ـ فاعل، والثاني: البناء على الفتح، ومثاله أيضًا: {إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} [٢]، يقرأ برفع (مثل) على أنه صفة لحق المرفوعة، وبالبناء على الفتح أيضًا.

ب- الزمن المبهم الذي لا يدل على زمن معين، مثل (حين ـ وقت ـ زمان) إذا أُضِيف إلى جملة جاز أن يُعرَبَ حسب موقعه، أو يُبنى على الفتح، مثال قوله تعالى: {هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} [٣].

يقرأ برفع (يوم) على أنه خبر للمبتدأ (هذا) أو البناء على الفتح[٤].

جـ ـ يجوز أن يأتي خبر المبتدأ إذا جاء جمعًا مكسرًا لمن يعقل، مفردًا مؤنثًا، أو جمعًا مذكرًا سالمًا، فيقال:

- الطلاب متفوقة.
- الطلاب متفوقون [٥].

د- وهذا طرف من الاختيارات نقلناه لقارئ الدستور من (مغني اللبيب [٦]...)، وكلها في إعراب الفعل، عدا المثال الأخير:

---

(١) الأنعام: ٩٤.
(٢) الذاريات: ٢٣.
(٣) المائدة: ١١٩.
(٤) أبو الخير ـ الصرف العربي والنحو، ص٩٦.
(٥) د. شوقي ضيف ـ تجديد النحو، القاهرة، ص٨٧، ٨٨.
(٦) ٥٢٧/٢.

- (ما تأتينا فتحدثنا) لك رفع الفعل (تحدث) على العطف، فيكون شريكًا في النفي، بمعنى (لا تأتينا، ولا تحدثنا) أو أن يرفع على الاستئناف فيكون مثبتًا؛ أي: (فأنت تحدثنا الآن).

ويجوز أن ينصب بأن المضمرة بعد الفاء:

- (هل تأتيني فأكرمك) لك الرفع على العطف، أو الاستئناف، أو بأن المضمرة وكذا في: (ليتني أجد مالًا فأنفقه) الرفع أو النصب على إضمار (أن).
- (ليقم الفائز فنكرمه) الرفع على القطع، والجزم بالعطف، والنصب بإضمار (أن).
- {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ...} [١] الجزم بالعطف، أو النصب بإضمار (أن).
- {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} [٢] يجوز أن تكون كلمة (الأعلى) صفة لكلمة (اسم) فتكون منصوبة، أو صفة للرب فتكون مجرورة.

ولكن يا قارئ الدستور لي عندك مثال أخير من غير المغني، هو:

- يجوز في اسم الفاعل إضافته إلى ما يليه من مفعول، وفي هذه الحالة، لا ينون اسم الفاعل؛ إذ إن العربية لغة منطقية مع نفسها لا تنون المضاف، ولا المعرف بأل، إذ التنوين ـ وهو في الغالب مفيد للتنكير ـ أو في عامته لا يجتمع مع التعريف، والذي يكتسب بالإضافة وبأل التعريفية.

---

(١) يوسف: ١٠٩.
(٢) الأعلى: ١.

- كما يجوز جر أو نصب ما بعد اسم الفاعل على أنه مفعوله (هو مكرم علي) أو (مكرم عليًّا) كلاهما صح صحيح، وحق حقيق.